

أُذِاحَتْ قِطْعَةٌ حَرِيرِيَّةٌ لَامِعَةٌ السَّوَادِ، بَسَطْتُهَا فِي مَوَاجِهَتِي مُمَسِّكَةً بِهَا مِنْ مَوْضِعِ الْمَنْكَبَيْنِ، يَتَوَسَّطُ صَدْرُهَا (بِرُوش) فَضِي هَالِئِي الشَّكْلَ مَرصَعٌ بِأَحْجَارٍ مِنَ الْفَيْرُوزِ. وَتَمَدَّدَ أَسْفَلُهُ عَلَى شَكْلِ مَرُوحَةٍ يَدَوِيَّةٍ مَقْلُوبَةٍ قِطْعَةً (دَانْتِيل) فَأَخْرَعْتُ، حَيْكَتُ عَلَى شَكْلِ كَسْرَاتٍ، فَقَدْ رَادَ وَزْنِي كَثِيرًا مَعَ الْحَمْلِ كَمَا تَرَيْنَ، أَنَّهُ قَدْ تَنَاسَبَ أَرْجُو أَنْ تَقْبَلِيهَا مِنِّي. قَالَتْ جَمَلْتُهَا تِلْكَ وَابْتَسَمَتْ وَهِيَ تَرَبَّتْ عَلَى يَدِي الْقَابِضَةِ عَلَى الْعِبَاءَةِ، فَبَادَلْتُهَا الْإِبْتِسَامَةَ وَشَكَرْتَهَا، أَوَّلُ مَا فَعَلْتُهُ حِينَ أَعْلَقْتُ بَابَ عُرْفَتِي عَلَيَّ هُوَ أَنَّنِي قُمْتُ بِتَجْرِبَتِهَا، شَهَقْتُ حِينَ وَقَعَ بَصْرِي عَلَى الْعَكَاسِ صُورَتِي فِي الْمِرَاةِ لَكَّأَنَّهَا فُصِّلَتْ لِي دُرْتُ حَوْلَ نَفْسِي مَزْهُوَةً بِجَمَالِ مَظْهَرِي الْجَدِيدِ، وَقَدْ أَطْرَقَتْ أَطْرَافُهَا بِقِطْعَةٍ (الدَانْتِيل) نَفْسِهَا، وَرُضِعَتْ إِحْدَى زَوَايَاهَا بِ (الْبُرُوش) الْقِضِي نَفْسِهِ الَّذِي تَوَسَّطَ صَدْرَ الْعِبَاءَةِ، لِأَلْقِي نَظْرَةً عَلَى الْمِرَاةِ، جَحَظْتُ عَيْنَايَ حِينَ لَمَحْتُ طَرْفَ حِدَاءِ (التَّنْسِ) الْأَبْيَضِ يُطَلُّ كَجَرْدٍ سَمِينٍ مِنْ تَحْتِ الْعِبَاءَةِ، وَهَرَعْتُ إِلَى صَفِّ مِنَ الْأَحْذِيَّةِ خَلْفَ الْبَابِ، سَوَى أَحْذِيَّةٍ خَفِيفَةٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّنْفِ الَّذِي تَرْتَدِيهِ الْمَرْضَاتُ، أَنَا فَتَاةٌ لَا تُحْسِنُ الْإِهْتِمَامَ بِمَظْهَرِهَا لَكِنَّ هَذَا سَيَتَغَيَّرُ مِنَ الْآنِ، وَيَجْدُرُ بِي أَلَّا أَتَعَجَّلَ ارْتِدَاءَ هَذِهِ الْقِطْعَةِ الْفَنِّيَّةِ حَتَّى أَتَمَكِّنَ مِنْ جَمْعِ الْكَمَالِيَّاتِ الْمَلَائِمَةِ لَهَا. عَدْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَدْتُ أَحْمِلُ عُلبَةَ حِدَاءِ جَدِيدٍ، وَبِسُرْعَةِ الْبَرَقِ أَخْرَجْتُ الْعِبَاءَةَ مِنْ كَيْسِهَا الْمَخْبُوءِ بِعِنَايَةٍ فِي ثَمَّ تَنَاوَلْتُ الْحِدَاءَ الْجَدِيدَ مِنْ عُلبَتِهِ، وَدَسَّسْتُهُ بِكُلِّ رَفْقٍ فِي قَدَمِي، ابْتَسَمْتُ قَانِعَةً بِاخْتِيَارِي الْمَوْفِقِ، فَقَدْ بَدَأَ الْحِدَاءُ الْأَسْوَدُ ذُو الرِّبَطَةِ الْفِضِّيَّةِ مُتَنَاسِقًا وَتَصْمِيمَ الْعِبَاءَةِ. وَرَأْسِي يَتَلَفَّتْ إِلَى الْمِرَاةِ، ضَغَطْتُ الْحِدَاءَ عَلَى قَدَمِي، إِلَّا أَنَّنِي أَقْنَعْتُ نَفْسِي بِأَنَّهَا مَسْأَلَةٌ سَاعَتَادُهَا كَوْنِي لَا أَحْبِذُ ارْتِدَاءَ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْأَحْذِيَّةِ الْعَالِيَةِ. وَأَنَا أَحْفَظُ الْحِدَاءَ إِلَى جَانِبِ الْعِبَاءَةِ فِي الرُّكْنِ الْأَسْفَلِ مِنَ الدُّوَلَابِ. مَا تَبَقِيَ مِنْ رَاتِبِي ثَمَنًا لِهَذَا الْحِدَاءِ، مُتَعَلِّةٌ بِالْأَيَّامِ الْخَمْسَةِ الْمُتَبَقِيَّةِ عَلَى انْتِهَاءِ بَعْدِ أُسْبُوعٍ وَكَلِمْتُ إِلَى عُرْفَتِي، أَلْفَيْتُ بِهِ عَلَى السَّرِيرِ، وَعَمَدْتُ إِلَى دَوْلَابِي، أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْعِبَاءَةَ وَالْحِدَاءَ، فَقَدْ عَمِلْتُ طِيلَةَ الْفَتْرَةِ الْمُنْصَرِمَةِ عَلَى تَجْمِيعِ وَكَأَنَّهَا أُحْجِيَةُ الصُّورَةِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُعِيدَ تَرْتِيبُهَا، لِأَجْلِ الْعِبَاءَةِ صِيحْتُ وَأَنَا أَتَمَلَّى مَظْهَرِي فِي الْمِرَاةِ: «أَيُّ تَنَاغُمٍ هَذَا؟! لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ بِالْعُثُورِ عَلَى حَقِيقَةِ تَنَاسُبِهَا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ!». كَانَتْ الْحَقِيقَةُ مَخْمَلِيَّةٌ سَوَادٌ بِكَسْرَاتٍ، زُمَّ مُنْتَصِفُهَا بِهَلَالِ فَضِي. بِاقْتِنَاءِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ أَكُونُ شَبَهَ مُسْتَعِدَّةٍ لِلخُرُوجِ إِلَى النَّاسِ بِحِلَّتِي الْجَدِيدَةِ. وَأَصَابِعِي تَتَخَلَّلُ خُصَلَ شَعْرِي الذَّهَبِيِّ الْمُجَعَّدَةِ، وَأَخَذْتُ أَنْزَعُ مُقْتِنَاتِي الثَّمِينَةَ، وَأَعِيدُهَا بِحِرْصٍ إِلَى مَخْبِئِهَا فِي الدُّوَلَابِ. فَقَدْ عَمِلْتُ طِيلَةَ الْفَتْرَةِ الْمُنْصَرِمَةِ عَلَى تَجْمِيعِ وَكَأَنَّهَا أُحْجِيَةُ الصُّورَةِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُعِيدَ تَرْتِيبُهَا، رَبَيْتُ خُصَلَ شَعْرِي الْأَسْوَدِ النَّاعِمِ فِي أَنْسِيَابِ مَائِلٍ عَلَى وَضَعْتُ الْأَقْرَاطَ الْفِضِّيَّةَ الَّتِي اسْتَعْرْتُهَا مِنْ شَقِيقَتِي الْكُبْرَى، وَبَسَطْتُ ظِلَّ الْعُيُونِ الْفَيْرُوزِيِّ عَلَى جَفْنِي وَرَسَمْتُ خَطًّا فَضِيًّا أَسْفَلَ الْعَيْنَيْنِ. سَيَتَعَجَّبُ النَّاسُ مِنْ فَتَاةٍ مُتَأَلِّقَةٍ مِثْلِي فِي عِبَادَةِ حَقِيرَةٍ كَهَذِهِ. يَعْطُونَ نَوَاحِي كُلَّمَا وَمَضَ رَقْمُ الْعِبَادَةِ عَلَى شَاشَةِ هَاتِفِي الْمَحْمُولِ، يَتَوَسَّطُهَا حَرَقُ تَفَحَّمَتْ أَطْرَافُهُ فِي حَجْمِ مَكْوَاةٍ كَهَرَبَائِيَّةِ.